

مِصْبَاحُ الظَّالِمِينَ

الناشر، المكتب المصري الحديث

٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة - تليفون ١٥١٢٧ ٢٩٣٤١٢٧

٧ شارع نوبار المنشية - الاسكندرية - تليفون ٢٠٢ ٤٨٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

# مصباح الظالمين

«وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ  
إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» - «ترجمہ کریم»

المكتب المصرى الحديث



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلى وأسلم صلاة وتسلماً يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبينا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . نشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ومحوت الظلمة ، وكشفت الغمة ، فجزاك الله يا رسول الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، ورسولاً عن قومه ، وبعد :

فهذا كتاب أردت به تنميم ما يجري على ساحة القيامة من مواقف رهيبة ، ومشاهد مهيبة ، حتى يعلم الناس ما سوف يلقونه بعد ما تصل الروح إلى خالقها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③  
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا  
بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥  
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَحْنِينًا أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ  
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ بَعْجَازُ نَحْلٍ خَاطِبَةٌ ⑦ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ  
مِنْ بَاقِيَةٍ ⑧ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَةُ  
بِالْخَاطِبَةِ ⑨ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً  
رَآئِيَةً ⑩ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرًّا فِي الْجَارِيَةِ ⑪  
لِنَجْعَلَهَا لُكْرًا تَذَكُّرًا وَتَعْيِبًا أُذُنًا وَعَيْبَةً ⑫ فَإِذَا نُفِخَ  
فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ  
فَدُكَّادًا كَةً وَاحِدَةً ⑭ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ⑮

وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى  
 أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ كَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾  
 يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
 كِتَابَهُ رِيْمِيْنِهِ فَيَقُولُ مَا أُوْمَ أَقْرَبَهُ وَانكِسِبَهُ ﴿١٩﴾ إِلَى  
 ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ بِحَاسِبِهِ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾  
 فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
 هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
 كِتَابَهُ بِئْسَ إِلَهٌ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لِأُوتِيَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾  
 وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلْبِثُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾  
 مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَتُهُ ﴿٢٩﴾  
 خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ  
 ذَرْعًا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ

بِإِلَهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾  
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ  
 غَسِيلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ  
 بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ  
 كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾  
 وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾  
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾  
 فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ  
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ  
 لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْبَقِيَّةِ ﴿٥١﴾  
 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

هذه السورة الكريمة اشتملت على موضوع الكتاب من ألفه إلى يائه ففيها ذكر القيامة ومشاهدها الرهيبية ، وقبل أن نستأذن بالدخول في ساحاتها المباركة ، وجوانبها الكريمة ، نذكر قصة هذه السورة مع عملاق الإسلام عمر بن الخطاب الذي قال : أول ما دخل الإسلام قلبي . كنت أمشي ذات ليلة ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ من سورة الحاقة ، فقلت في نفسي إن هذا الكلام كلام شاعر . فسمعته يقرأ في آخرها « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » قلت في نفسي إن هذا الكلام كلام كاهن ، فسمعته يقرأ « ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون » قلت : إن هذا الكلام كلام محمد فسمعته يقرأ « تنزيل من رب العالمين » إلى آخر السورة . قلت في نفسي إن هذا الكلام كلام الله .

نعم إنه كلام الله ، ولا أحد يشرك بالله في كلامه وحكمه إلا إذا كان مطموس البصيرة ، مريض القلب .

بسم الله الرحمن الرحيم « حم . تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون » .

نعم يا فاروق هذه الأمة . ياسراج أهل الجنة . يامن بكى الإسلام على موتك إن هذا الكلام كلام الله .

**المؤلف**

**عبد الحميد كشك**

## أَخَافَةُ مَا أَخَافُهُ وَمَا أَدْرِكُ مَا أَخَافُهُ

الحاقة هي الساعة الثابتة الوقوع . وحق الشيء ، إذا ثبت وبلغ مبلغ اليقين . الساعة آتية لا ريب فيها لا يجادل فيها إلا مكابر أو جاهل أو ظالم أو جاحد . لكن المؤمنون يعلمون أنها الحق . ثم يأتي أسلوب الاستفهام الذي يراد به التفضيم لشأنها ، والتعظيم لحالها . فيقول تعالى ( ما الحاقة ) وكأن الأفهام لا تحيط بهولها . والأفكار لا تستطيع أن تستوعب عظيم شأنها . فيعود الأسلوب القرآني الرائع في استفهام تنفطر له الأفتدة ، وتنخلع من هوله القلوب ( وما أدراك ما الحاقة ) وكأن القياس بمقاييس العقول البشرية أن يقال : لقد خشع العباد لهولها ، وعتت الوجوه لجلالها . وخشعت الأصوات لعظم مليكتها ، وأيقنت القلوب وصدقت بالإيمان بها ، لكن ياحسرة على العباد يأتي التعقيب ( كذبت ثمود وعاد بالقارعة ) طغيان ما بعده طغيان . وتمرد على أوامر الواحد الديان . ولجاجة في عتو ونفور . لم يقل القرآن كذبت ثمود وعاد بالحاقة ، إنما قال بالقارعة ، فأضاف إليها إسماً آخر لو نزل على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . لقد وصفها الله بالقارعة التي تفرع النفوس وتفجؤها بوقوعها .

بسم الله الرحمن الرحيم : لا إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجاً . وبست الجبال بساً . فكانت

هباءاً منبثاً . وكنتم أزواجاً ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة .  
وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون . »

نعم يا قوم إنها الحاقة . وإنما القارعة ما القارعة . وما أدراك ما القارعة  
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش .  
فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه  
فألمه هاوية . وما أدراك ما هية . نار حامية . »

## فما جزاء هؤلاء المكذبين

قال تعالى « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية » وهم قوم نبي الله صالح فكيف التوفيق بين أنواع العذاب التي عذب بها هؤلاء . في سورة الأعراف قال تعالى : « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين » . وفي سورة هود قال تعالى « فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . كأن لم ينقوا فيها إلا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود » .

وفي سورة ( فصلت ) قال تعالى :

« وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » .

وفي سورة الحاقة « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية » . فكيف نوفق بين هذه الأنواع من العقوبة ؟ والجواب على هذا أنهم عذبوا بكل هذه الأنواع صاح فيهم جبريل فأصيبوا بالرجفة ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ، فسميت هذه العقوبات كلها بالطاغية ، أي التي تجاوزت حدود الأفهام لما لها من هول في النفوس ، ووزع في القلوب .

قوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع

ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .  
فهل ترى لهم من باقية » . ( وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ) .

يقول العلامة ابن كثير : ( وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ) أى  
باردة . قال قتادة والسدى والربيع بن أنس والثورى ( عاتية ) :  
أى شديدة الهبوب . قال قتادة : عتت عليهم حتى نقتت عن أفئدتهم

- وقال الضحاك ( صرصر ) : باردة . ( عاتية ) عتت عليهم بغير رحمة  
ولا بركة ، وقال على وغيره عتت الخزنة ، فخرجت بغير  
حساب ( سخرها عليهم ) أى : سلطها عليهم . ( سبع ليال وثمانية  
أيام حسوما ) : أى كوامل متتابعات مشائيم عليهم ، كقوله تعالى ( فى أيام  
نحسات ) . قال الربيع وكان أولها الجمعة ، وقال غيره الأربعاء ،  
ويقال إنها التى تسميها الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من  
قوله تعالى ( فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية )  
وقيل لأنها تكون فى عجز الشتاء ، ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من  
قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح فى اليوم الثامن ، حكاه البغوى والله  
أعلم .

## ماذا قال أهل القصص عن عاد ونبیهم هود

يقول العلامة الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير ( في قصص الأنبياء )  
متحدثا عن عاد قوم هود :

« هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ،  
ويقال إن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .  
ويقال هود بن عبد الله بن رباح الجارود بن عاد بن عوض ابن إرم  
ابن سام بن نوح عليه السلام .

ذكره ابن جرير .

وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوض بن سام بن نوح . وكانوا  
عربا يسكنون الأحقاف - وهي جبال الرمل - وكانت باليمن بين عمان  
وحضرموت ، بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر ، واسم واديهم  
مغيث . .

وكانوا كثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام . كما قال  
تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد » : أى عاد إرم  
وهم عاد الأولى .

وأما عاد الثانية فتأخرة كما سيأتى بيان ذلك في موضعه . وأما عاد  
الأولى فهم عاد « إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

أى مثل القبيلة ، وقيل مثل العمر ، والصحيح الأول كما بيناه فى التفسير .

ومن زعم أن « إرم » مدينة تدور فى الأرض . فتارة فى الشام ، وتارة فى اليمن ، وتارة فى الحجاز ، وتارة فى غيرها . فقد أبعد النجعة ، وقال ما لا دليل عليه ، ولا برهان يعول عليه . ولا مستند يركن إليه .

وفى صحيح ابن حبان عن أبى ذر فى حديثه الطويل فى ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه : « منهم أربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر » .

ويقال إن هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية . وزعم وهب ابن منبه أن أباه أول من تكلم بها ، وقال غيره : أول من تكلم بها نوح ، وقيل آدم وهو الأشبه ، وقيل غير ذلك . والله أعلم .

## العرب العاربة والمستعربة

ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام . العرب العاربة . وهم قبائل كثيرة : منهم عاد وثمود وجرم وضميم وجديس وأميم ومدين وعملاق وعييل وجاسم وقحطان وبنو يقظان وغيرهم . وأما العرب المستعربة : فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل . وكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة ، وكان قد أخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم ، ولكن أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان ، وكذلك كان يتلفظ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتصود أن عاداً - وهم عاد الأولى - كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان ، وكانت أصنامهم ثلاثة : ( صدا وصمودا وهرا ) ، فبعث الله فيهم أخاهم هوداً - عابه السلام - فدعاهم إلى الله ، كما قال الله تعالى . بعد ذكر قوم نوح ، وما كان من أمرهم في سورة الأعراف « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل ، منكم لينذرکم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد

قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون .  
قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فائتنا بما تعدنا  
إن كنت من الصادقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب  
أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان  
فانتظروا إني معكم من المنتظرين . فأنجيناها والذين معه برحمة منا وقطعنا  
داير الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين .

وقال تعالى بعد ذكر قصة نوح في سورة هود « وإلى عاد أخاهم  
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون .  
يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون .  
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا  
ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين . قالوا يا هود ما جئنا ببينة  
وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا  
اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما  
تشركون . من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون . إني توكلت على  
الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط  
مستقيم . فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي  
قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ . ولما جاء  
أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ .  
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار

عند . واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة إلا إن عاداً كفروا  
ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود .

وقال تعالى في سورة « المؤمنون » بعد قصة قوم نوح « ثم أنشأنا  
من بعدهم قرناً آخرين . فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم  
من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا  
بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما  
تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا  
لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون .  
هيئات هيئات لما تنوعدون . إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما  
نحن ببعوثين . إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن لبمومنين .  
قال رب انصرني بما كذبون . قال عما قليل ليصبحن نادمين . فأخذتهم  
الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين . »

وقال تعالى في سورة الشعراء بعد قصة قوم نوح أيضاً « كذبت عاد  
المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إني لكم رسول أمين .  
فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب  
العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم  
تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي  
أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . إني أخاف  
عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من

الواعظين .. إن هذا إلا خلق الأولين . وما يجن بمعذنين . فكذبوه  
فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو  
العزیز الرحيم » .

وقال تعالى في سورة (السجدة) فأما عاد فاستكبروا في الأرض  
بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو  
أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في  
أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة  
أخزى وهم لا ينصرون » .

وقال تعالى في سورة الأحقاف « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه  
بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا  
الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا أجئتنا لنأفكنا عن آلهتنا  
فأنتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما العلم عند الله وأبلغكم  
ما أرسلت به ولكنى أراكم قوماً تجهلون . فلما رأوه عارضاً مستقبل  
أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب  
أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك  
نجزي القوم المجرمين » . وقال تعالى في سورة الذاريات :

« وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أنت عليه  
إلا جعلته كالرميم » .

وقال تعالى في سورة النجم « وأنه أهلك عاداً الأولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتفكة أهوى . فغشاهما ما غشى . فبأى آلاء ربك تتماهى » .

وقال تعالى في سورة « القمر » « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابى ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

وقال تعالى في سورة « الحاقة » « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية » .

وقال تعالى في سورة الفجر « ألم تركيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد . وثمود الذين جاابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد . الذين طغوا فى البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد » .

وبعدما ساق العلامة ابن كثير هذا الحشد المقدس من آيات الكتاب العزيز فى شأن عاد قوم لوط ، فإننا نستنبط بعون من الله هذه الأسباب التى من أجلها دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . ولكى تأخذ الأمم من عاد عبرة وعظة ، خشية أن تقع فى غضب الله وعذابه . فإننا نسجل هذه الحثيات التى استوجبت إنزال العذاب بهم .

## الأسباب التي من أجلها دمر الله عليهم

أولاً : كان هؤلاء القوم يسكنون مكانا يسمى الأحقاف ، وهي الرمال الغزيرة ، وتقع الأحقاف بين عمان وحضرموت . كانوا كافرين جاحدين ، وهذه وحدها تكفي لإنزال الدمار بهم . قال تعالى « ألا إن عاداً كفروا ربهم » .

ثانياً : كانوا متكبرين على قبول الحق . قال تعالى « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون » . فإذا كان ردهم وجوابهم ؟ هل أنصتوا لنداء الناصحين . لقد آتهموه بالسفه وخفة العقل .

ومن هؤلاء الذين ردوا عليه ؟ إنهم أشرفهم وكبرأؤهم ، وهم الذين ساءم القرآن بالملاء .

ثالثاً : آتهموا نبي الله هوداً بالكذب . وأى كذب في أمرهم بتوحيد الله ، والدلائل كلها ناطقة بلسان حالها ومقالها بأن خالق الكون واحد لا شريك له . فأى كذب في هذا . يبين الله تعالى هذا الموقف فيقول « قال الملاء الذين كفروا من قومه إنا لراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين » .

فاذا كان رد هود عليهم ؟ لقد كان الفرق شاسعا بين كلامهم ورده ، وبين اتهامهم ودفاعه . « قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون » .

رابعاً : وهذه داهية الدواهي أنهم عجبوا وقالوا لهود « أجتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فانتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » .

وهنا جاء الرد حاسماً وقاطعاً وجازماً . قال « قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » .

خامساً : إنهم ظنوا ألا أحد أقوى منهم ، فقالوا في عجب وكبرياء وخيلاء « من أشد منا قوة » وما أقاموا لأحد وزناً ، وهنا بلغ السيل الزبا ، ولم يبق في قوس الصبر منزع ، وجاء الرد من ذى القوة المتين « أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمحذون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » .

وهكذا انطوت تلك الصفحة الكثيرة « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » .

استمرت هذه الغارة سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ، سخرها الله عليهم : أى سلطها سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما . قال علماء التفسير : أى كوامل متتابعات مشائم . قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم : حسوما متتابعات .

وعن عكرمة وربيعة بن خيثم : مشائم عليهم . كقوله تعالى « فى أيام نحسات » . قال الربيع وكان أولها الجمعة ، وقال غيره الأربعاء ، ويقال إنها التى نسميها الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى « فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » .  
وقيل لأنها تكون فى عجز الشتاء .

ويقال أيام العجوز . لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرىبا فقتلتها الريح فى اليوم الثامن . حكاه البغوى والله أعلم .

قال ابن عباس : خاوية : خربة . وقال غيره : بالية . أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه ، فينشرخ رأسه ، وتبقى جسسه هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان .

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ( نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور ) .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدى ، حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم ، فرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض ، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة ) .

وذلك قوله تعالى : « فهل ترى لهم من باقية » . الفاء هنا تفرعية أى أنها فرعت ما بعدها على ما قبلها « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية » والاستفهام هنا إنكارى يفيد النفي . كأنه تعالى قال : فلا ترى لهم باقية ، والرؤية هنا تفيد العلم لمن لم ير بعينه ، أى فهل تعلم لهم من شيء بنى . لقد دمرت الريح كل شيء بإذن ربها « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » .

### الأمم بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد أرسل الله الأمين جبريل ليخسف الأرض بقوم ظالمين . قال جبريل : يارب إن فيها عبداً صالحاً ، قال له الله تعالى به فابدأ ، فإنه رأى المنكر فلم يتغير وجهه من أجله . لذا فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس » وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا بهم أنجيننا الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين .

قال تبارك وتعالى : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلود لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . »

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه السلام ، وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه . قال العوفي عن ابن عباس « لعنوا

في التوراة والإنجيل وفي الزبور وفي الفرقان « ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم ، فقال تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » أي كان لا ينهى أحد منهم أحدا على ارتكاب المآثم والمحارم . ثم ذمهم على ذلك ليحذروا أن يرتكبوا مثل الذي ارتكبوه . فقال « لبئس ما كانوا يفعلون » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ، نهتهم علماءهم فلم يذنبوا . فجالسوهم في مجالسهم . قال يزيد وأحسبه قال في أسواقهم ، وواكلوهم وشاربوهم : فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس . فقال : « لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أضراً » .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي ، حدثنا يونس ابن راشد عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلتقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك . ثم يلتقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال :

« لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم »  
إلى قوله « فاسقون » . ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون  
عن المنكر . ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ،  
أو تقصرنه على الحق قصراً » .

عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على  
الذنب نهاه عنه تعديراً ، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون  
أكيله وخليطه وشريكه » .

وفي حديث هارون وشريكه ، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب  
بعضهم على بعض ، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ،  
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لتأمرن  
بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسيء ، ولتأطرنه  
على الحق أطراً ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أو  
ليلعننكم كما لعنهم » .

وعن حذيفة بن ايمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي  
نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن  
الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » رواد مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير . حدثنا ابن أبي سليمان قال : سمعت عدى بن عرى الكندى يحدث عن مجاهد قال : حدثني مولى لنا أنه سمع جدى يعنى عدى بن عميرة رضى الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » .

وعن ابن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها ، وقال مرة فأنكرها . كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » .

وقال ابن ماجه : حدثنا عمران بن موسى عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فكان فيما قال : « ألا لا يمتنع رجلا هيبة الناس أن يقول الحق إذا علمه » .

وقال ابن ماجه : حدثنا راشد بن سعيد الرملى عن أبي غالب عن أبي أمامة قال : عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند الجمرة الأولى فقال يا رسول الله : أى الجهاد أفضل فسكت عنه ، فلما رمى الجمرة الثانية فسأله فسأله فسكت عنه ، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال أين السائل قال أنا يا رسول الله ، قال : « كلمة حق تقال عند ذى سلطان جائر » .

وقال ابن ماجه : حدثنا عبد الله بن نمير عن أبي البحرى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه قال : يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقولون فيه ، فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا كذا وكذا . فيقول : خشية الناس ، فيقول فيأبى كنت أحق أن تخشى » .  
وعن يحيى بن سعيد قال : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره ، فإذا لقن الله عبدا حجته قال : يارب رجوتك وفرقت الناس .

وعن أنس بن مالك قال : قيل يا رسول الله منى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال : إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، قلنا يارسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا قال : الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رذالكم » . قال زيد تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والعلم في رذالكم : إذا كان العلم في الفساق .

وبعد هذا الحشد الكرم من الأحاديث النبوية الشريفة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نرى تمة للفائدة أن نبين معنى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

إلى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم تعملون» . يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ونحبراً لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريباً منه أو بعيداً .

قال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : يقول تعالى « إذا ما العبد أتاعنى فيما أمرته به من الحلال . ونهيته عنه من الحرام ، فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به . فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » نصب على الإغراء :

أى الزموا شئون أنفسكم بالإصلاح وفعل الصلاح ، ولزوم التقوى ، لأن لفظ عليكم اسم فعل فى أمر بمعنى الزموا .

قوله تعالى : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم تعملون » .

أى فيجازى كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً .

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله : قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإني سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : ( إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه ، يوشك الله عز وجل أن يعذبهم بعقابهم ) .

وعن أبي أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية - قال آية آية ؟ قلت قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » قال : أما والله لقد سألت عنها خيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم » .

قال عبد الله بن المبارك . قيل يارسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم ؟ قال بل أجر خمسين منكم .

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن أن ابن مسعود رضى الله عنه سأله رجل عن قول الله تعالى « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » فقال إن هذا ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة ، ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها ، وأمرون فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابن مسعود في قوله « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » الآية . قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فكان بين رجلين بغض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فأمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه عليك بنفسك ، فإن الله يقول : « عليكم أنفسكم » الآية . قال فسمعها ابن مسعود فقال : مه لم ينجيء تأويل هذه بعد . إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يبسير ، ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى تأويلهن عند الساعة ، ما ذكر من الساعة ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب ، ما ذكر من الحساب والجنة والنار . فما دامت قلوبكم واحدة وأهوائكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعاً ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا ، وإذا اختلفت القلوب والأهواء والبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض ، فأمرؤ ونفسه ، وعند ذلك جاءنا تأويل هذه الآية . رواه ابن جرير .

وقال ابن جرير : « حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا الربيع بن صبيح عن سفيان بن عقال قال : قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال عليكم

أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ، فقال ابن عمر : إنها ليست لي  
ولا لأصحابي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا فليبلغ الشاهد  
الغائب . فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لأقوام  
يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم .

وقال ابن جرير : حدثنا عوف عن سوار بن شبيب قال : كنت  
عند ابن عمر إذ أتاه رجل جليد في العين ، شديد اللسان ، فقال :  
يا أبا عبد الرحمن نفر ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ، وكلهم  
مجتهد لا يألوا ، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة إلا الخير ، وهم في ذلك  
يشهد بعضهم على بعض بالشرك . فقال رجل من القوم وأي دناءة تريد  
أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ، فقال الرجل : إني  
لست إياك أسأل ، إنما أسألي الشيخ . فأعاد على عبد الله الحديث ،  
فقال عبد الله : لعلك ترى لا أبالك أني سأمرك أن تذهب فتقتلهم .  
عظهم وانهم وإن عصوك فغلبك بنفسك فإن الله عز وجل يقول :  
« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » .

وقال سعيد بن المسيب : إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر  
فلا يضرك من ضل إذا اهتديت .

وقال الحسن لما تلا هذه الآية : الحمد لله بها والحمد لله عليها ،  
ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله .

## فرعون وموسى

ونعود الآن إلى ما كنا عنده من تفسير سورة الحاقة فنقول وبالله التوفيق « وجاء فرعون ومن قبله والموتفكات بالخطئة . فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية » .

وفى هذا المشهد القرآنى الكريم ينتقل بنا المنظم العظيم من ديار عاد وثمود إلى أرض مصر ، حيث على رأسها يتربع الجبابرة الذين بلغ من جرأة أحدهم على الله أنه أعلنها صريحة مجلجلة « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً » .

أنظر إلى سفاهة العقول « اجعل لى صرحاً » لماذا ؟ وتزداد العقول سفاهة عندما يذكر العلة « لعل أطلع لى إله موسى ولانى لأظنه من الكاذبين » .

إنه عقل فارغ عندما يتصور الله عند آخر صرحه الذى سيبنيه ، وما علم أن الله ليس كمثل شىء ، وما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . فكيف يتوهم متوهم أنه قد يصعد إلى الله ببناء صرح ، والله تعالى لا يسأل عنه سؤال إحاطة بأين كان ، لأنه خالق المكان ، ولا يسأل عنه بمتى كان ، لأنه خالق الزمان ، لا تدركه الأبصار ولا تحويه

الأنظار ، ولا يؤثر فيه الليل ولا النهار ، وهو الواحد القهار ، فإذا كان جواب مولانا جل جلاله على من قال أنا ربكم الأعلى ؟

إن الله تعالى حكيم وكريم حتى أن أحد الصالحين لما قرأ قوله جل شأنه يخاطب موسى وهارون « إذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى » . قال أحد الصالحين وهو يعنى النظر فى قوله تعالى « فقولا له قولنا لنا » قال سبحانه ربى إذا كان هذا عطفك بفرعون الذى قال « أنا ربكم الأعلى ، فكيف يكون عطفك بعبد قال سبحانه ربى الأعلى . وإذا كان هذا حلسك بفرعون الذى قال : ما علمت لكم من إله غيرى ، فكيف يكون حلسك بعبد قال لا إله إلا الله » .

إن الله تعالى حكيم ، ولكنه يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . إنه يهمل ولكنه لا يهمل .

قال جل شأنه « والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأمل لهم إن كيدى متين » . . إن الله لا يعجل كعجلة أحدكم إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

واقراً قوله جل شأنه « وقد مكروا مكراً مكراً وعند الله مكرهم وإن

كان مكرهم لتزول منه الجبال . فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام .

وتأمل قوله جل جلاله « ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون . »

### عاقبة المتكبرين والظالمين

وهنا يلح علينا سؤال مرير . فإذا كانت عاقبة هذا المتكبر الذى ادعى أنه الإله ، ويجيبنا الله تعالى قائلا « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون . واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين » .

وإليك أيها القارئ الكريم تفصيلا لهذا المشهد مصداقا لقوله تعالى عن فرعون « فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » . إنها النهاية المحتومة لكل ظالم .

يقول العلامة ابن كثير فى كتابه (قصص الأنبياء) :

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم ، متابعة للمكهم فرعون ، ومخالفة لنبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام . أقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة ، وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار وحير العقول ، وهم مع ذلك لا يرجعون ولا ينتهون ولا ينزعون ولا يرجعون ، ولم يؤمن منهم إلا القليل . قيل

ثلاثة : وهم امرأة فرعون ، ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ، ومؤمن آل فرعون ، والرجل الناصح الذى جاء يسعى من أقصى المدينة فقال : يا موسى إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . وقيل بل آمن به طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بنى إسرائيل . ويدل على هذا قوله تعالى « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملثهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال فى الأرض وإنه لمن المسرفين » .

فالضمير فى قوله « إلا ذرية من قومه » عائد على فرعون لأن السياق يدل عليه ، وقيل على موسى لقربه ، والأول أظهر كما هو مقرر فى التفسير . وإيمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون وسطوته وجبروته وسلطته ، ومن ملثهم أن ينموا عليهم إليه فيفتنهم عن دينهم . قال الله تعالى مخبرا عن فرعون « وكفى بالله شهيداً » و « وإن فرعون لعال فى الأرض » - أى جبار عنيد مشتغل بغير الحق - « وإنه لمن المسرفين » - أى فى جميع أموره وشئونه وأحواله ، ولكنه جرثومة قد حان انجهاؤها ( الانجفاف معناه الاقتلاع والاستئصال ) وثمره خبيثة قد آن قبلانها ومهجة ملعونة قد حتم إتلافها .

وعند ذلك قال موسى : « يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين . ونحننا برحمتك من القوم الكافرين » . فأمرهم بالتوكل على الله والاستعانة

به والالتجاء إليه ، فأتمروا بذلك ، فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجاً ومخرجاً « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوتا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا لقومهما بيوتاً متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة الرحيل إذا أمروا به ، ليعرف بعضهم بيوت بعض . وقوله « واجعلوا بيوتكم قبلة » قيل مساجد وقيل معناه : كثرة الصلاة فيها ومعناه على هذا : الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة . كما قال تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حز به أمر صلى . وقيل معناه إنهم لم يكونوا حينئذ يقدرون على إظهار عبادتهم في مجتمعاتهم ومعابدهم فأمروا أن يصلوا في بيوتهم عوضاً عما فاتهم من إظهار شعائر الدين الحق في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم إخفائه خوفاً من فرعون وملئه .

والمعنى الأول أتوى لقوله سبحانه وتعالى « وبشر المؤمنين » وإن كان لا ينافي الثاني أيضاً والله أعلم .

وقال سعيد بن جبير « واجعلوا بيوتكم قبلة » : أى متقابلة .

### دعوة غضب لله تعالى

« وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » .

هذه دعوة عظيمة دعا بها كلّم الله موسى على عدو الله فرعون ، غضبا لله عليه لتكبره عن اتباع الحق ، وصدّه عن سبيل الله ، ومعاندته وعتوه وتمرده واستمراره على الباطل ، ومكابرتة الحق الواضح الجلى ، الحسى والمعنوى ، والبرهان القطعى . فقال « ربنا إنك آتيت فرعون وملأه يعنى قومه من القبط ، ومن كان على ملته ودان بدينه — زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك » — أى وهذا يغير به من يعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شئ ، لكن هذه الأموال وهذه الزينة من اللباس والمراكب الحسنة الهنية ، والدور الأنيقة والقصور المبنية ، والمآكل الشبية والمناظر البهية ، والملك العزيز والتمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدين « ربنا اطمس على أموالهم » .

قال ابن عباس ومجاهد أى أهلكها — وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضحاك : اجعلها حجارة منقوشة كهيئة ما كانت . وقال

قناة : بلغنا أن زروعهم صارت حجارة . وقال محمد بن كعب :  
جعل سكرهم حجارة . وقال أيضاً صارت أموالهم كلها حجارة .  
ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز للغلام له :  
قم اثنتى بكيس ، فجاءه بكيس ، فإذا فيه حمص وبيض قد حول  
حجارة .

وقوله تعالى : « واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب  
الآليم » .

قال ابن عباس أى اطيع عليها . وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه  
ولبراهيمه . فاستجاب الله تعالى لها وحققها وتقبلها كما استجاب لنوح  
عليه السلام فى قومه حيث قال : « رب لا تذر على الأرض من  
الكاافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً  
كفاراً » .

ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون ومثله ، وأمن  
أخوه هارون على دعائه ، فنزل ذلك منزلة الداعى أيضاً : « قال  
قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » .

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب : استأذن بنو إسرائيل  
فرعون فى الخروج إلى عيد لهم ، فأذن لهم وهو كاره ، ولكنهم تجهزوا  
للخروج وتأهبوا له ، وإنما كان فى نفس الأمر مكيدة بفرعون وجنوده  
ليتخلصوا منهم ، ويخرجوا عنهم ، وأمرهم الله تعالى فيما ذكره أهل

الكتاب أن يستعبروا حلياً منهم ، فأعاروهم شيئاً كثيراً ، فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام . فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم ، وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم . قال الله تعالى : « وأوحينا إلى موسى أن أمر بعبادي إنكم متبعون . فأرسل فرعون في المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون . وإنا لجمع حاذرون . فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومقام كريم . وكذلك وأورثناها بني إسرائيل . فاتبعوهم مشركين . فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم » . ( من سورة الشعراء - الآيات ٥٢ - ٦٨ ) .

قال علماء التفسير : كما ركب فرعون في جنوده طالبا بني إسرائيل يقفوا أثرهم ، كان في جيش كثيف عمر مرم ، حتى قبيل كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم ، وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وسبائة ألف والله أعلم .

وقيل إن بني إسرائيل كانوا نحواً من سبائة ألف مقاتل غير الذرية ،

وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام ودخولهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل ، أربعمائة سنة وستا وعشرين سنة شمسية ، والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس ، وتراءى الجمعان ، ولم يبق ثم ريب ولا لبس ، وعان كل من التريقين صاحبه وتحققه ورآه ، ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحاماة ، فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون : إنا لمدركون ، وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا السلوكه وخوضه ، وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه ، والجبال عن يسرتهم وعن أيمنهم وهي شاهقة منينة ، وفرعون قد غالتهم وواجههم ، وعانيوه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده وهم منه في غاية الخوف والذعر لما قاسوا في سلطاته من الإهانة والمكر ، فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعانيوه . فقال لهم الرسول الصادق المصدوق : « كلا إن معي ربي سيهدين » . وكان في السافة فيتقدم إلى المقدمة ، ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأعراجه ، ويتزايد زبد أعراجه . وهو يقول : ها هنا أمرت . ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلمائهم وعبادهم الكبار ، وقد أوحى الله إليه وجعله نبيا بعد موسى وهارون عليه السلام ، ومعهم أيضاً مؤمن آل فرعون ، وهم وقوف وبنو إسرائيل بكاملهم عليهم عكوف ، ويقال إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مراراً في

البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ، ويقول لموسى عليه السلام يا نبي الله ها هنا أمرت ؟ فيقول : نعم فلما تقام الأمر ، وضاق الحال ، واشتد الأمر ، واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدتهم وغضبهم وحققهم ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، عند ذلك أوحى الخليم العليم القدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم أن اضرب بعصاك البحر ، فلما ضربه - يقال إنه قال له انفلق بإذن الله - ويقال إنه كناه بأبي خالد فالله أعلم - قال الله تعالى « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم » . ويقال إنه انفلق اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق يسرون فيه . حتى قيل إنه صار فيه أيضاً شبايبك ليرى بعضهم بعضاً ، وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف إذا كان من ورائه ضياء حكاه ، وهكذا كان ماء البحر قائماً مثل الجبال ، مكفوفاً بالقدرة العظيمة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون . وأمر الله تعالى ريح الدبور فلفحت حال البحر فأذهبت حتى صارت يابسا لا يعلق في سنايك الخيول والدواب . قال الله تعالى « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى » .

والمقصود أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال بإذن الرب العظيم الشديد المحال ، أمر موسى عليه السلام أن يجوزه بنبي إسرائيل ،

فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدى قلوب المؤمنين فلما جازوه وجاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه ، كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ، ووفودهم عليه ، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه ، لأن لا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه ، ولا سبيل عليه ، فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المقال « ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم . أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين ، وأن لا تعلقوا على الله إنى آتاكم بسلطان مبين . وإنى عدت بربى وربكم أن ترجمون . وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون . فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون . فأمر بعبادى ليلا إنكم متبعون . واترك البحر رهوا لأنهم جند مفرقون . كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين . فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين . ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين — من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين — ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » . فقله تعالى « واترك البحر رهوا » أى ساكنا على هيئته لا تغييره عن هذه الصفة ، فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون فرأى ما رأى وعاین ما عاین ، هاله هذا المنظر العظيم ، وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن هذا من فعل رب العرش الكريم . فأحجم ولم

يتقدم ، وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا يتفقه الندم ، لكنه أظهر لجنوده تجلداً وعاملهم معاملة العدا ، وحمله النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفه فأطاعوه ، وعلى باطله تابعوه : انظروا كيف انحسر البحرى لأدرك عبيدى الآبقين من يدي ، الخارجين على طاعنى وبلدى ؟ وجعل يورى في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو ، وهيات ، ويتدم تارة ويحجم تارات ! فذكروا أن جبريل عليه السلام تبنى في صورة فارس راكب على رمكة حائل ( ومعنى الرمكة أى الفرس والحائل التى لم تلتفح ) فيمر بين يدي فحل فرعون - لعنه الله - فحمحم لإيها وأقبل عليها ، وأسرع جبريل بين يديه واقتحم البحر . واستبق الجواد وقد أجاد ، فبادر مسرعاً . وهذا وفرعون لا يملك من نفسه ضراً ولا نفعاً . فلما رأته الجنود قد سلك البحر ، اقتحموا وراهه مسرعين فحصلوا في البحر أجمعين ، حتى هم أولهم بالخروج منه ، فعند ذلك أمر الله تعالى كلمه فيما أوحاه إليه أن يضرب بعصاه البحر فضربه فارتطم عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم إنسان .

قال الله تعالى : « وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم » .

أى في إنجائه أوليائه ، فلم يغرق منهم أحد ، وإغراقه أعداءه ، فلم يخلص منهم أحد ، آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة ،

وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة ، والمناهج المستقيمة .

وقال تعالى : « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بنيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك بيدنك لنتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » .

يخبر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفره القبط ، وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة ، وترفعه أخرى ، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وإلى جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم ، والخطب الجسيم ؛ ليكون أقر لأعين بني إسرائيل ، وأشقى لنفوسهم ، فلما عاين فرعون الملكة وأحيط به . وبأشر سكرات الموت ، أناب حينئذ وتاب ، وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها ؛ كما قال تعالى « إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم » .

وقال تعالى : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وحشر هنالك الكافرون » .

وهكذا دعا موسى على فرعون وملئه أن يطمس الله على أموالهم ويشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . أى حين لا يتفهم ذلك ، ويكون حسرة عليهم ، قد قال تعالى لهما ، أى موسى وهارون ، حين دعوا بهذا « قد أجيبت دعوتكما » فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كلمة وأخيه هارون - عليهما السلام - ومن ذلك الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » . قال لى جبريل « لو رأيتنى وقد أخذت من حال البحر فدمسته فيه مخافة أن تناله الرحمة » .

وعن ابن عباس قال : « لما أغرق الله فرعون أشار بإصبعه ورفع صوته « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » قال فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه ، فجعل يأخذ الحلال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه (يدفنه) .

وقوله تعالى : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » استفهام إنكار ، ونص على عدم قبوله تعالى منه ، ذلك لأنه - والله أعلم - لو رد إلى الدنيا كما كان لعاد إلى ما كان عليه ، كما أخير تعالى عن الكفار إذا عاينوا النار وشاهدوها أنهم يقولون : « ياليتنا فرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » .

قال الله « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون » .

وقوله : « فالיום ننجيك بيدك لتكون لمن خلقت آية » .

قال ابن عباس وغير واحد : شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم إنه لا يموت . فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع ، قيل على وجه الماء وقيل على نجوة من الأرض وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ، ويعلموا قدرة الله عليه ، ولهذا قال : « فالיום ننجيك بيدك » أى مصاحبا درعك المعروفة بك « لتكون » أى أنت آية « لمن خلقت » أى من بني إسرائيل ، ودليلا على قدرة الله الذى أهلكك ، ولهذا قرأ بعض السلف لتكون لمن خلقت آية ، ويحتمل أن يكون المراد ننجيك بجسدك مصاحبا درعك لتكون علامة لمن وراءك من بني إسرائيل على معرفتك ، وأنت هلكت والله أعلم . وقد كان هلاكه وجنوده في يوم عاشوراء كما قال الإمام البخارى في صحيحه : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أنتم أحق بموسى منهم فصوموا » .

وأصل هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما والله أعلم .

وبعدنا استمعنا إلى ما ذكره العلامة ابن كثير فى كتابه ( قصص

الأنبياء ) نعود إلى الحديث الأول في بيان قوله تعالى : « وجاء فرعون  
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة » .

ففرى أن القرآن الكريم في هذه الآية قد طوى العصور طياً كما  
بطوى البرق، معصرات الغمام ، فإن هناك أما شتى سبقت فرعون  
وتجبرت وتكبرت وكفرت بأنعم الله . قال « فما بال القرون الأولى  
قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى » .

إن سورة الحاقة حدثتنا عن عاد وثمود ، وبينهما وبين فرعون أمم  
وأجيال طحنها الانتقامات المتنوعة بسبب كفرها وعنادها ، وعلى  
وجه المثال قوم إبراهيم ، وقوم نوح ، وقوم شعيب « ألا بعداً لابن  
كما بعدت ثمود » .

نبكى على الدنيا وما من معشر

جمعهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى

جمعوا الكنوز فما بقينا ولا بقوا

من ذا الذى ضاق الفضاء بجيشه

حتى ثوى فجواه لحسد ضيق

خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا

أن الكلام لهم حلال مطلق

## قوم لوط عليه السلام وما حل بهم

ويحدثنا الكتاب العزيز بعد ذلك عن المؤتفكات ، وهى القرى التى بعث فيها نبي الله لوط ، وسميت بالمؤتفكات لأنها انقلبت على وجهها .

قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هى من الظالمين بييد . »

وهذه نبذة عن قوم لوط ، حتى تتبين لنا معاملهم ونخشى الله فيما بيننا .

إن مما وقع فى حياة الخليل إبراهيم من الأمور العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام . وما حل بهم من النقمة العميمة ، وكان لوط قد نزع عن محلة عمه الخليل - عليهما السلام - بأمره له وإذنه ، فنزل بمدينة سدوم من أرض غرزغر ، وكان أم (قصد) تلك المدينة ولها أرض ومعتملات وقرى مضافة إليها ، ولها أهل من أفجر الناس وأكثرهم وأسوأهم طوية ، وأردنهم سريرة وسيرة ، يقطعون السبيل ، ويأتون فى ناديبهم المسكر ، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكران من العالمين ، وترك ما خلق الله من النساء لعباده الصالحين . فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستبحات ، فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم ، واستمروا على فجورهم وطغيانهم وكفرانهم ، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ، ما لم يكن في خلدكم وحسابهم . وجعلهم مثلة في العالمين ، وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين . ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير موضع في كتابه المبين ، فقال تعالى في سورة الأعراف :

« ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » .

وقال تعالى في سورة هود :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت

فبشرناهما بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت يا ويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب . يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود . ولما جاءت رسلنا لوطا بسيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تحزوني في ضيبي أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرتك إنه مصيبيها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببيعد .

وقال تعالى في سورة الحجر « ونبئهم عن ضيف إبراهيم - إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون . قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتموني على أن مسنى الكبر فبم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين - قال ومن يقنط من رحمه ربه

إلا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين — إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين . إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين . فلما جاء آل لوط المرسلون . قال إنكم قوم منكرون . قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون . وأتيناك بالحق وإنا لصادقون . فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون . وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين . وجاء أهل المدينة يستبشرون . قال إن هؤلاء ضيقى فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تحزون — قالوا أولم تنهك عن العالمين — قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين . لعمرك إنهم لى سكرتهم يعمهون — فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل — إن فى ذلك لآيات للمتوسمين . وإنما لبسبيل مقيم . إن فى ذلك لآية للمؤمنين .

وقال تعالى فى سورة الشعراء « كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون — إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتأتون الذكور ان من العالمين — وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته بالوط لتكونن من المخرجين . قال إنى لعلمكم من القالين . رب نجنى وأهلى مما يعملون . فنجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزاً فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين . إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم ... »

وقال تعالى في سورة النمل « ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أتتكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون . فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا . أن لوط من قريبتكم لأنهم إناس يتطهرون . فأنجيناها وأهلها إلا امرأته قدرناها من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين » .

وقال تعالى في سورة العنكبوت :

« ولو طأ إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أتتكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين . قال رب انصرني على القوم المفسدين . ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين . ولما أن جاءت رسلنا لوطاً ساء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لا تخف وإنا نأمنون . إنا نأمنون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون . ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون » .

وقال تعالى في سورة الصافات « وإن لوطاً لمن المرسلين . إذ نجيناها وأهلها أجمعين . إلا عجوزاً في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وإنكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون » .

وقال تعالى في الذاريات بعد قصة ضيف إبراهيم وبشارتهم إياه بغلام عليهم « قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم » .

وقال في سورة القمر « كذبت قوم لوط بالنذر . إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر . ولقد أنذرهم بطشتنا فمأروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر . فذوقوا عذابي ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

والمقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم : وما أحل الله بهم مجموعاً الآيات والآثار والله المستعان . وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش ، لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به ، حتى ولا رجل واحد منهم ، ولم يتركوا ما عندهم بل استمروا على حالهم ، ولم يرعوا عن شيمهم وضلالهم وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرائهم ، وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا « أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون » فجعلوا غاية المدح ذمّاً يقتضى الإخراج ، وما حملهم على مقاتلهم هذه إلا العناد والهجاج . فطهره الله

وأهله إلا امرأته ، وأخرجهم منها أحسن إخراج ، وتركهم في محلهم خالدين — لكن بعدما صيرها عليهم بحيرة منتنة ذات أمواج — لكنها عليهم في الحقيقة نار تأجج ، وحر يتوهج ، وماؤها ملح أجاج . وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن ارتكاب الطامة العظمى ، والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين . ولهذا صاروا مثله فيها ، وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ، ويخونون الرفيق ، ويأتون في ناديهم — وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم — المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه ، حتى قيل إنهم كانوا لا يستحون من محالسيهم في إتيان أى منكر ، وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ، ولا يستنكفون ولا يرعون لوعظ واعظ ولا نصيحة من عاقل ، وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلا ، ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا ندموا على ماسلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلا ، فأخذهم الله أخذاً وييلا ، وقالوا له فيما قالوا : اثنتا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم ، وحلول البأس العظيم . فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين ، فغار الله لغيرته ، وغضب لغضبه ، واستجاب لدعوته ، وأجابه إلى طلبته ، وبعث رسله الكرام وملائكته العظام فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم ، وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم ، والخطب العميم قال فما خطبكم

أيها المرسلون . قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين - لئرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين .

وقال « ولما جاءت رسلنا لإبراهيم بالبشرى . قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . »

وقال الله تعالى « فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط » وذلك أنه كان يرجو أن يحيى أو ينيبوا ويسلموا ويقلعوا ويرجعوا . ولهذا قال تعالى « إن إبراهيم خليل أوامه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود . » .  
أى أعرض عن هذا وتكلم في غيره فإنه قد حتم أمره ، ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم : « إنه قد جاء أمر ربك » أى قد أمر به من لا يرد أمره ، ولا يرد بأسه ، ولا معقب لحكمه وإنه آتيتهم عذاب غير مردود .

وذكر سعيد بن جبير والسدى وقتادة ومحمد بن إسحق ، أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول : أهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ( قالوا لا ) قال : فانتا مؤمن ؟ قالوا : لا قال : فأربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا . قال : فأربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا . قال ابن اسحاق : إلى أن قال : أنفأيتم إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا لا : « قال : إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها . » الآية .

وعن أهل الكتاب أنه قال : يارب أهلكهم وفيهم خمسون رجلاً صالحاً فقال الله « لا أهلكهم وفيهم خمسون صالحاً » ثم تنازل إلى عشرة . فقال الله : لا أهلكهم وفيهم عشرة صالحون . قال الله تعالى : « ونا جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عاصيب » .

قال المفسرون لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم ، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل . أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان اختياراً من الله تعالى لقوم لوط ، وإقامة للحجة عليهم ، فاستضافوا لوطاً عليه السلام ، وذلك عند غروب الشمس فخشى إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره وحسبهم بشراً من الناس و « سيء بهم وضاق بهم ذرعاً » وقال هذا يوم عاصيب .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومحمد بن اسحق : شديد بلاؤه ، وذلك لما يعلم من مدافعتة الليلة عنهم كما كان يصنع بهم في غيرهم ، وكانوا قد اشرطوا عليه أن لا يضيف أحداً ولكن رأى من لا يمكن الشيد عنه . وذكر قتادة أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يحمل فيها ، فتضيفوا فاستحيامنهم وانطلق أمامهم ، وجعل يعرض لهم في الكلام لعلمهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلون في غيرها ، فقال لهم فيما قال : والله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء . ثم مشى قليلاً ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرره أربع مرات . قال : وكانوا إذ أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك .

وقال السدي : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها ، وكانت له ابنتان اسم الكبرى « ريثا » والصغرى « زغرثا » ، فقالوا لها يا جارية هل من منزل ؟ فقالت لهم : نعم . مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم - شفقة عليهم من قومها - فأتت أباهما فقالت : يا أبتاه أراذك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم ، وقد كان قومه سهوه أن يضيف رجلا فقالوا : خل عنا فلنضيف الرجال .

فجاء بهم ، فلم يعلم أحد إلا أهل البيت فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فقالت إن في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه وقوله تعالى : « ومن قبل كانوا يعملون السيئات » أي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة « قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم » يرشدهم إلى غشيان نسائهم ومن بناته شرعا ، لأن النبي للأمة بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث ، وكما قال تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » . وفي قول بعض الصحابة والسلف ، وهو أب لهم ، وهذا كقوله : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » .

وقوله تعالى : « فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل

رشيد . نهى لهم عن تعاطى ما لا يليق من الفاحشة ، وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل له مسكة من عقل ، ولا فيه خير ، بل الجميع سفهاء فجرة أقوياء كفرة أغبياء ، وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسموه منه من قبل أن يسألوه عنه . فقال قومه عليهم لعنة الله الحميد المجيد مجيبين لنبيهم فيما أمرهم به من الأمر السديد « لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد » .

يقولون - عليهم لعائن الله - لقد علمت يالوط أنه لا أرب لنا في نساتنا ، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا ، واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم ، ولم يخافوا سطوة العظيم ذى العذاب الأليم ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .  
ود أن لو كان له بهم قوة أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب ، وقد قال الزهري عن سعيد بن المشيب وأبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً « نحن أحق بالشك من إبراهيم ، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » .

وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحمة الله على لوط إن كان يأوى إلى ركن شديد - يعنى الله عز وجل - فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه » .

وقال تعالى « وجاء أهل المدينة يستبشرون ، قال إن هؤلاء ضيبي فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تخزون . قالوا أو لم تنهك عن العالمين . قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين » .

فأمرهم بقربان نسائهم ، وحذرهم الاستمرار على طريقتهن وسينائهن . هذا وهم في ذلك لا يتهون ولا يرعون ، بل كلما نهاهم بيالغون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويحرصون ، ولم يعلموا ما حم به القدر مما هم إليه سائرون ، وصيحة ليلتهم إليه منتلبون . ولذا قال تعالى مقسما بحياة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه : « لعمرك إنهم لبي سكرتهم يعمهون » .

وقال تعالى « ولقد أنذرهم بطشتنا فآثارا بالندر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صحبكم بكرة عذاب مستقر » .

ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطا عليه السلام جعل يمانع قومه الدخون ويدافعهم والباب مغلق ، وهم يرومون فتحه وولوجه ، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب وكل ما لهم في إلحاح وإلحاح ، فلما ضاق الأمر وعسر الحان قال ما قال « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » لأتلت بكم النكال .

قالت الملائكة : « يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك » وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف

جناحه فطمست أعينهم ، حتى قيل أنها غارت بالكلية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر ، فرجعوا يتحسسون مع الحيطان ويتوعدون رسول الرحمن ، ويقولون إذا كان الغد لنا وله شأن !

قال تعالى « ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صببهم بكرة عذاب مستقر . »

فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليه السلام آمريين له بأن يسرى هو وأهله من آخر الليل ، ولا يلتفت منكم أحد يعنى عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه - وأمروه أن يكون سيرد في آخرهم كالساقة لهم .

وقوله « إلا امرأتك » على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله « فأسر بأهلك » كأنه يقول إلا امرأتك فلا تسربها ويحتمل أن يكون من قوله « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » أى فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم ، ويقوى هذا الاحتمال قراءة الرفع ، ولكن الأول أظهر فى المعنى والله أعلم .

قال السهيلي واسم امرأة لوط ( وآلهة ) واسم امرأة نوح ( والغة ) وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة الملعونين النظراء والأشباه الذين جعلهم الله سلفا لكل خائن مريب « إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » .

فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابتاه ، لم يتبعه منهم رجل واحد ، ويقال إن امرأته خرجت معه والله أعلم .

فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكانت عند شروقها ، جاءهم من أمر الله ما لا يرد ، ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد قال تعالى « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد » .

اقتلعهن جبريل بطرف جناحه من قرارهن - وكن سبع مدن - بمن فيهن من الأمم ، وقيل أنهم كانوا أربعمائة نسمة ، وقيل أربعة آلاف نسمة وما معهم - الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات ، فرقع الجميع حتى بلغ بين عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديبكتهم ونباح كلابهم . ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها .

قال مجاهد فكان أول ما سقط منها شرفاتها .

« وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » والسجيل فارسي معرب : وهو الشديد الصلب القوي « منضود » : أى يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء « مسومة » : أى معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يهبط عليه فيدمغه ، كما قال « مسومة عند ربك للمسرفين » ، وكما قال تعالى : « وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر

المنذرين ، وقال تعالى « والمؤتفة أهوى - فغشاها ما غشى ،  
فبأى آلاء ربك تتماهى » . يعنى قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها  
وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مسومة مرقومة على كل  
حجر اسم صاحبه الذى سقط عليه من الحاضرين منهم فى بلدهم  
والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها .

ويقال إن امرأة لوط مكنت مع قومها ، ويقال إنها خرجت مع  
زوجها وبنتها ، ولكنها لما سمعت الصيحة وسقوط البلدة التفت  
إلى قومها . وتخالفت أمر ربها قديماً وحديثاً ، وقالت واقوماه ،  
فسقط عليها حجر فدمغها وألحقها بقومها إذ كانت على دينهم ، وكانت  
عيناً لهم على من يكون عند لوط من الضيفان .

كما قال تعالى « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة  
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من  
الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » : أى خانتاهما فى الدين فلم  
ينبعاها فيه ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة فإن الله لا يقدر  
على نبي قط أن تبغى امرأته . كما قال ابن عباس وغيره من أئمة السلف  
والخلف : ما بغت امرأة نبي قط . ومن قال خلاف ذلك فقد أخطأ  
خطأ كبيراً .

قال الله تعالى فى قصة الإفك لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت  
الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ،

فغاب الله المؤمنين وأنب وزجر ووعظ وحذر « إذ تلقونه بالسنتكم  
وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله  
عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك  
هذا بهتان عظيم » . أى سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة .

وقوله هنا « وما هي من الظالمين ببيعد » : أى وما هذه العقوبة ببيعد  
من أشبههم في فعلهم .

ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللائظ يرجم ، سواء كان  
محصاً أولاً ، ونص عليه الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من  
الأئمة .

واحتجوا أيضاً بما رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عمرو  
ابن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمتعمول  
به » .

وذهب أبو حنيفة إلى أن اللائظ يلقي من شادق ( جبل ) ويتبع  
بالحجارة ، كما فعل بقوم لوط لتوله تعالى « وما هي من الظالمين  
ببيعد » .

وجبل الله مكان تلك البلاد بحيرة مستنة لا ينفض بمائها ولا بنا حرها  
من الأراضي المتاحة لئنائها ، لردائها ودنائها ، فصارت عبرة ومثلة

وعظمة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه من خالف أمره ، وكذب رسله ، واتبع هواه ، وعصى مولاہ ، ودليلاً على رحمته بعباد المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات ، وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور كما قال الله تعالى « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم » . وقال الله تعالى : « فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل . إن في ذلك لآيات لمتوسمين . وإنها لبسبيل مقيم . إن في ذلك لآية للمؤمنين » : أي من نظر بعين الفراسة والتوسم فيهم ، كيف غير الله تلك البلاد وأهلها ، وكيف جعلها بعدما كانت أهلة عامرة ، هالكة غامرة ؟ كما روى الترمذي وغيره مرفوعاً : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ثم قرأ « إن في ذلك لآيات للمتوسمين » وقوله تعالى « وإنها لبسبيل مقيم » : أي بطريق ( مهيج ) مسلوک إلى الآن . كما قال « وإنكم تمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون » .

وقال تعالى : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » .

وقال تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم » : أي تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة ، وخشى الرحمن بالغيب ، وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فانترج عن

محارم الله وترك معاصيه ، وخاف أن يشابه قوم لوط ، ومن تشبه  
بقوم فهو منهم وإن لم يكن من كل وجه فن بعض الوحوه كما قال  
بعضهم :

فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم  
فما قوم لوط منكمو يبعيد

فالعقل اللبيب الفاهم الخائف من ربه يمثل ما أمره الله به عز وجل ،  
ويقبل ما أرشده إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من إتيان ما خلق له  
من الزوجات الحلال والجوارى من السرارى ذوات الجمال ، وإياد  
أن يتبع كل شيطان مرید فيحق عليه الوعيد ، ويدخله في قوله تعالى :  
« وما هي من الظالمين ببعيد » .

وقوله تعالى بعد ذلك : « فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية »  
وذلك بعدما قال تعالى « وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة »  
المقصود بالخاطئة هنا هي الفعلة التي تعدوا فعلها مما يغضب الله تعالى ،  
ولنا مع قوله تعالى « فعصوا رسول ربهم » وقفة تتعلق بالعقيدة . لماذا  
أفرد القرآن الرسول هنا مع أن الذين عصوا أم كثيرة . ولكل أمة  
رسول بل رسل . فقد سبق الحديث في هذه السورة الكريمة عن عاد  
ونمود وقوم فرعون وقوم لوط وما بين ذلك . مما عبر عنه الله تعالى  
بقوله « وجاء فرعون ومن قبله » فهذا حشد من الأمم رهيب . ينبغي  
طابور من الرسل ، فلماذا أفرد الرسول في قوله تعالى « فعصوا رسول

رهبهم « إنها إشارة لطيفة من إشارات القرآن الكريم تفيد أنه لما كانت عقيدة الرسل واحدة ، فهم جميعا يعملون في معسكر واحد ، هو معسكر التوحيد ، ونحت لواء واحد ، هو لا إله إلا الله . يقول سيدهم صلى الله عليه وسلم : أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي : لا إله إلا الله . والقرآن الكريم خير شاهد « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » لما كان ذلك كذلك فكأنهم جميعا رسول واحد ، وهنا يثور سؤال آخر في سورة الشعراء كلما تحدث القرآن عن قوم من المكذبين ، يجمع المرسلين ويأتى بهم في صيغة الجمع ، مع أن القوم جاءهم رسول واحد . اسمع معى إلى قوله جل شأنه « كذبت قوم نوح المرسلين » واسمع معى إلى قوله تعالى « كذبت عاد المرسلين » مع أن رسولهم هود ، ورسول قوم نوح نوح ، وهكذا « كذبت ثمود المرسلين » : « كذبت قوم لوط المرسلين » ، « كذب أصحاب الأيكة المرسلين » : فلما جمعهم مع أن المرسل إليهم واحد ؟

## حكم من كذب رسولاً واحداً

وتلك إشارة أخرى من لطائف القرآن تتعلق بالعميدة ، تفيد أن من كذب رسولاً واحداً فكأنه كذب المرسلين جميعاً ، ومن آمن بواحد منهم ولم يؤمن بالآخرين لا يقبل منه إيمان اسمع إلى قوله تعالى في خواتيم البقرة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

يؤكد هذا المعنى ما جاء في سورة النساء قال جل شأنه « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يأتيهم أجرهم وكان الله غفوراً رحيماً » .

من ثم فإن المؤمن يجب عليه أن يلتزم ما جاء في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً . هذا هو الإيمان الخالص ، ونعوذ بالله أن نشرك به شيئاً .

## الإشراك بالله

يحدثنا الإمام ابن حجر المكي الميمني في كتابه (الزواجر عن  
اقراف الكبائر) عن الشرك - نعوذ بالله منه - فيقول : لما كان  
الكفر أعظم الذنوب ، كان أحق بأن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه  
فتقول : قال الله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك  
لمن يشاء » وقال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » وقال تعالى إنه من  
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أنبئكم بأكبر  
الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » ، وكان متكئا فجلس  
وقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور . فإزال يكررها حتى  
قانا ليته سكت .

وفي الحديث الصحيح أيضاً « اجتنبوا السبع الموبقات » وذكر منها  
الإشراك بالله .

وروى أحمد والبخاري والترمذي والنسائي « الكبائر الإشراك  
بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس » .

وأبو داود ، والنسائي : « الكبائر تسع ، وأعظمهن إشراك بالله » .

والطبراني والحاكم والبيهقي : « ألا إن أولياء الله المصلون ، ومن  
يقيم الصلوات الخمس التي كتبها الله على عباده ، ويصوم رمضان ،  
ويحتسب صومه يرى أنه عليه حق ، ويؤتي زكاة ماله طيبة بها نفسه  
يحتسبها ، ويجنب الكبائر التي نهى الله عنها » قيل يا رسول الله كم  
الكبائر ؟ قال هي تسع ، أعظمهن الإشراك بالله ، وقتل المؤمن بغير  
حق ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، والسحر ، وأكل  
مال اليتيم ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين المسلمين ، واستحلال البيت  
الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً ، لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر  
ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا رافق محمداً صلى الله عليه وسلم في  
محبوبة جنة أبوابها مصاريع الذهب .

والبخاري وأبو يعلى والضياء : أمركم بثلاث وأنها كم عن ثلاث :  
أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً  
ولا تفرقوا ، وتطيعوا لمن ولاء الله أمركم . وأنها كم عن ثلاث : قيل  
وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال .

والطبراني « أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه إليه ، فإن تاب  
فاقبل منه ، وإن لم يتب فاضرب عنقه . وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام  
فادعها ، فإن تابت فاقبل منها ، وإن أبت فأس بها » ، وظاهره أن المرأة  
المرتدة لا تقتل وإلا صح عندنا خلافه ، لعموم الخبر الصحيح من  
بدل دينه فاقتلوه .

وروى البيهقي : من بدل دينه أو رجع عن دينه فاقتلوه ، ولا تعذبوا عباد الله بعذاب الله « يعني النار .

والطبراني : « من بدل دينه فاقتلوه ولا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه : أي مادام مصراً على كفره ،

وابن حبان : « من رجع عن دينه فاقتلوه ولا تعذبوا بعذاب الله أحداً » يعني النار .

تنبيهات منها :

بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها في الناس وعلى السنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك ، فإذا بان لهم بعضها فلعلهم أن يجتنبوها لأن لا تحبط أعمالهم ويخلدوا في أعظم العذاب وأشد العقاب ، ومعرفة ذلك أمر مهم جداً ، فإن من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ، ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ، وقد توسع أصحابه في المكفرات وهدوا منها جملاً مستكثرة جداً ، وبالفرا في ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب مع قولهم بأن الردة تحبط الأعمال وبأن من ارتد بانت منه زوجته وحرمت عليه ، فع هذا التشديد العظيم بالفرا في الاتساع في المكفرات ، فتعين على كل ذي مسكة من دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه ولا يقع فيه ، فيحبط عمله ، ويلزمه قضاؤه ، وتبين زوجته عند هؤلاء الأئمة . بل عند

الشافعي رضى الله عنه أن الردة وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه .  
فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا في القضاء فقط . والأكثر وإن  
لم يقلدوهم لكن الاستبراء للدين والنفس المأمور به يوجب الاحتياط  
ومراعاة الخلاف ما أمكن ، سيما في مثل هذا الباب الضيق الشديد  
الحرج في الدنيا والآخرة ) .

## بعض أنواع الكفر والشرك

فن أنواع الكفر والشرك : أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء ولو محالاً عقلياً فيما يظهر فيكفر حالاً ، أو يعتقد ما يوجبه أو يفعل أو يتلفظ بما يدل عليه ، سواء أصدر عن اعتقاد أو عناد أو استهزاء ، كاتى اعتقد قدم العالم ولو بالنوع ، أو نفي ما هو ثابت لله تعالى بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار أصل نحو : علمه أو قدرته أو كونه يعلم الجزئى ، أو إثبات ما هو متنى عنه . كذلك : كاللون أو أنه متصل بالعالم أو خارج عنه على ما في ذلك من نزاع .

وتفصيل حاصله أن النقص إما أن يعتقد التصاف الله عز وجل وتبارك وتعالى عنه به صريحاً أو لازماً ، فالأول كفر إجماعاً ، والثانى كذلك على خلاف فيه ، الأصح منه عندنا عدم الكفر ، فعمل أن نحو المجهم أو الجوهرى لا يكفر بما يلزم من مقاله من النقص إلا أن اعتقده أو صرح به . وكان يسجد لمخلوق كالشمس إن لم تدل قرينة ظاهرة على عذره ، ويأتى هذا القيد فى كثير من المسائل .

وفى معنى ذلك كل من فعل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر ، وإن كان مصرحاً بالإسلام ، كالمنشئ إلى الكنائس

مع أهلها بزيمهم من الزنابير وغيرها ، أو يلتق ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعى ، أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي أو ملك في نجاسة .

قال بعضهم : أو قدر ظاهر كنى أو عباط أو بصاق ، أو يلمطخ ذلك أو مسجدا بنجس ولم يفوا عنه ، أو يشك في نبوة نبي أجمع عليها لا كالحضر وخالد بن سنان ، أو في إنزال كتاب كذلك ، كالذرة أو الإنجيل أو زبور داود أو صحف إبراهيم صلى الله عليه وسلم أو في آية من القرآن يجمع عليها كالمعوذتين ، أو في تكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة ، أو تكفير الصحابة أو في مكة أو الكعبة أو المسجد الحرام ، أو في صفة الحج أو هيئة المعروفة ، وكذا الصلاة والصوم ، أو في حكم يجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، كتحريم المكسي ومشروعية السنن كصلاة العيد ، أو استحل محرماً كذلك ، كالصلاة بغير وضوء بخلافها مع نجاسة الخلاف فيها ، أو كإيذاء مسلم أو كافر ذمى بلا مسوغ شرعى بالنسبة لاعتقاده ، أو حرم حلالاً كالبيع والنكاح ، وأن يقول عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان أسود ، أو توفى قبل أن يلتجى ، أو ليس بقرشى أو عربى أو إنسى . لأن وصفه بغير صفته تكذيب له . ويؤخذ منه أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها كفراً ، كما لو جوز بعثة نبي بعده ، أو قال لا أدرى أهو الذى بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره ، أو النبوة مكنسبة أو أن رتبها يوصل إليها بصفاء القلب .

أو الولي أفصل من النبي أو أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة يدخل الجنة قبل موته ، أو يعيب نبينا صلى الله عليه وسلم ومثله غيره من الأنبياء بل والملائكة ، أو يلعنه أو يسبه أو يستخف أو يستهزئ به أو بشيء من أفعاله ، أو يلحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله ، أو يعرض بذلك أو يشبهه بشيء على طريق الإزراء ، أو التصغير لشأنه أو الغض منه ، أو تمنى له مضرة أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزوره أو غيره بشيء مما جرى من البلاء والحنة عليه ، أو غمسه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه . فيكفر بواحد مما ذكر إجماعاً فيقتل ، وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له عند صاحبكم ، وعد هذه الكلمة تنقيصا له صلى الله عليه وسلم ، أو يرضى بالكفر ولو ضمنا ، كأن يشير على كافر بأن لا يسلم وإن لم يستشره ، أو يقول له لقي كلمة الإسلام فيؤخر ، كأن يقول خطيب : اصبر حتى أفرغ من خطبتي بخلاف الدعاء نحو لا رزقه الله الإيمان . أو ثبته الله على الكفر أو سلبه عن فلان المسلم إن أراد تشديد الأمر عليه ، أو سؤال الكفر لغيره لأنه رضا به . أو يقول لمسلم يا كافر بلا تأويل لأنه سمي الإسلام كفرا .

فذا ما ذكره الإمام ابن حجر المكي الهيثمي في كتابه (الزواجر)  
وقد ذكرناه هنا تنبيها للمسلم أن يكون حريصاً على عقيدته حرصه على  
حياته ، فليس أغلى من العقيدة أى شيء .

اسأل الله حسن الخاتمة على الإيمان به وبرسوله إنه تعالى خير مسئول  
وأكرم مأمول .

المؤلف

عبد الحميد كشك

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشمك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التي تصلنا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي والتي تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف في سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشمك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحرة عام ١٩٢٢ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائي بمعهد الاسكندرية الديني .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، انعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق في طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب الملاج ، ولكنه همد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر لكاء البصرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوي ، وكان الاول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة في المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة في القسم الثانوي ، ولى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨٪ .
- التحق بكلية أصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالية ، وكان ترتيبه الاول ، ومثل الأزهر الشريف في عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالية مع تخصص التدريس العالي .
- عمل اماما وخطيبا بمسجد وزارة الاوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة ( الملك سابقا ) منذ عام ١٩٦٤ والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشوارع مصر والسودان بالقاهرة .

التاسع

# فهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١٠	الحاقة ما الحاقة
١٢	جزاء المكذبين
١٤	ماذا قال أهل القصص عن عاد ونببهم
١٦	العرب العاربة والمستعرية
٢١	الاسباب التي من أجلها دمر الله عليهم
٢٥	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٤	فرعون وموسى
٣٧	عاقبة المتكبرين والظالمين
٤٠	دعوة غضب لله تعالى
٥١	قوم لوط عليه السلام
٧٠	حكم من كذب رسولا واحدا
٧١	الاشراك بالله
٧٥	بعض انواع الكفر والشرك

رقم الابداع ١٩٨١/٣٨٧٢

الترقيم الدولي ٩٧٧-٧٣٢٢-٤٢-٥ ISBN